الموت... أقدم عاصمة في التاريخ

عادل محمود: الموت في نصوصي لا يحمل الصفات البشعة كقابض أرواح بل دعوة للتشبث بجماليات الحياة

| سوسن صيداوي

يقال: «إن الحرب هي تسلية الزعماء الوحيدة التي يسمحون لأفراد الشعب المشاركة فيها». وفي الحرب يقال: «ليس هناك جندي غير مصاب». وفي الحقيقة لا يوجد حتى مدني لم تصبه الحرب بندبة ما، في جسد أو روح أو ذاكرة.

هذه النصوص مكتوبة في زمن الحرب لا عنها، حول الحرب لا عن غبار مسارحها، تفكيراً بالحياة، لا بخنادقها. الحرب على / وفي سورية... البلد الذي لم يكن يصدّق ما قيل فيه: «بلد مؤلف من فائض الآلام».

نصوص مكتوبة بارتباك اليقين، وبمحاولة الاقتراب مما هو باق وغير قابل للاندثار، مهما بدت وحشية الحرب دليلاً على تشوه قلب الإنسان.

بهذه العبارات صاغ الكاتب عادل محمود إيضاحه الذي تقدم كتاب «الموت... أقدم عاصمة في التاريخ»، الذي تولى تقديمه الكاتب الشاعر والفنان التشكيلي نزيه أبو عفش، والصادر عن «دار التكوين» في دمشق، بواقع مئتي صفحة. كانت معظم نصوصه قد نُشرت في زاوية «شرفات» في جريدة عُمان. والجدير بالذكر أن عادل محمود هو شاعر سوري من مواليد قرية عين البوم التابعة لمحافظة اللاذقية عام ١٩٤٦، وله عدة إصدارات بين الشعر وكتب المقالات والروايات، وفي العام ٢٠٠٧ فاز بجائزة دبي الثقافية للإبداع عن روايته «إلى الأبد ويوم» حيث حقق المركز الأول.

الموت أقدم عاصمة في التاريخ

كما يتضح فإن عنوان الكتاب يحمل تحية رمزية لدمشق، أقدم عاصمة في التاريخ، وحول معاني الموت ومفاهيمه كان للكاتب عادل محمود رأيه التالي: «بشكل ما، لقد توارى اسم دمشق لمصلحة عنوان أشد ضراوة وفتكاً هو الموت. الموت ليس بوصفه شيئاً مخيفاً، بل بما يخلّفه من أسى، وبما يذبل في داخلك بسبب الفقدان، ونهاية فرص سعادة مع الآخرين بغيابهم. لكن الموت في نصوصي لا يحمل الصفات البشعة كقابض أرواح، بل دعوة للتشبث بجماليات الحياة، بالمزح معه ورفع الكلفة. كثيراً ما تخيّلت شكل موتي، إنه يتجوّل معي على الدوام، ولست متضرراً من هذه الإلفة، أحاول نسيانه ببروفات يومية، ثم ليس سهلاً أن تعيش ٧٠ سنة، إنها نوع من البطولة العبثية. شخصياً «شفت الموت بعيني» أكثر من مرّة، وكانت فرص النجاة صفراً. مرّة في الحرب الأهلية اللبنانية ولم أصب، ومرّة عند حاجز أمني أطلقوا على سيارتي في العتمة ٩ رصاصات ونجوت، ومرّة كنت عائداً إلى دمشق، وكان عليّ أن أسلك طريق القنص بين الجثث، وبسرعة، بينما أحرك رأسي يميناً ويساراً، أماماً وخلفاً كبندول الساعة، لأجعل مهمة القنّاص صعبة. باختصار، فإن الموت يقوم بمهمة «قطع سياق»، ربما لست مستعداً له تماماً. سأذكر شيئاً آخر يتعلّق بفكرة الموت. لديّ دفتر أسجّل فيه أسماء الموتى المشهورين، سواء أكانوا أصدقاء أم لا، وقد اكتشفت أنني قد ملأت عشر صفحات كاملة، وتالياً فإن الموت لا يحتاج إلى فلسفة فائضة، فهو من مفردات الحياة التي لا يمكن تجاهلها. شخصيّاً، تعوّدت كل أنواع الغياب، بعدما فقدت من أحببت. لقد أصبحت أنا الغائب».

نزيه أبو عفش

تحدث مقدّم كتاب «الموت... أقدم عاصمة في التاريخ» الكاتب الشاعر والفنان التشكيلي نزيه أبو عفش، في المقدمة عن العلاقة الوطيدة التي تجمعه بالكاتب عادل محمود قائلاً: «منذ أربعين عاماً تقريباً (يا لهول الأعمار والمصائر!).. وأنا أقرأ عادل محمود. «أقرؤه» وأقرأ ما يكتب. أقرؤه كمن يتنزّه في بستان حياة: بستان من دم، ولحم، وأنفاس، وهواجس، وشقاءات، و.. (كدت أقول: آمال)، وتحسّرات، ولعنات، وخيبات حالمين... منذ أربعين عاماً وأنا أتنزّه؛ حتى أوشك البستان أن يصير بادية سرابات، والمتنزهون فيه «أشباح» بشر.

أربعون عاماً: عمر صداقة، وعمر امتحانات ومحن، وعمر.. خراب.

أربعون عاماً في بستان دم وحبر.

أربعون هزيمة جسد، وهزيمة عقل، وهزيمة أضاليل وعقائد، و.. هزيمة «هزائم».

(طبعاً، لا أنسى: أربعون دورة ورد)..

أربعون في المتاهة.

أربعون في العناد، والتصبُّر، وفلاحة الهواء والصخر.

أربعون... في خدمة التعاسة.

أي نعم: عمر!...

معترفاً أبو عفش في مقدمته إلى ضعفه أمام عمق مفردة عادل محمود التي تدفعه دائماً إلى التأثر وصناعة الدموع رغم حصانة لغته الموحية بالعافية والصلابة، مضيفاً: «ضعيفان وعاجزان (بل يبغضان النصر)، حوّلَتنا الهزائم «الجليلة» التي أُوقعنا فيها، أو تلك التي أوقعنا أنفسنا فيها وخضناها مختارين (على أمل أن نهزم فيها).. حوّلتنا إلى كائنين «دمعيين» لا يزال من حقّ الأصحاب المغرمين بأفعال البطولة أن يطردونا، بسبب جسامتها (جسامة تلك الهزائم) خارج أسوار «القلعة» مجرَّدين من جميع الاستحقاقات والأوسمة.. بل حتى من الثياب وأوراق الكتابة اللازمة للبكاء وتوثيق التنهّدات والندم.

نعم: ضعيفان ومهزومان.

ونعم: صناعتنا الهزيمة.

ونعم ونعم: الهزيمة أصدق وأثمن انتصاراتنا».

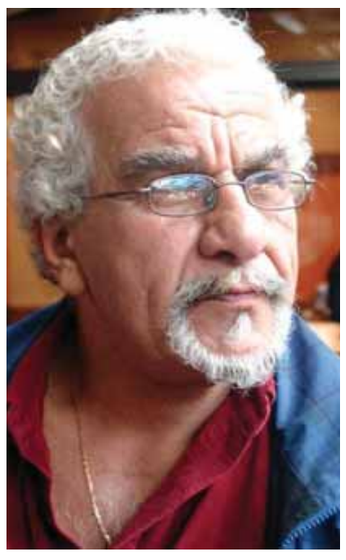

أجواء من الكتاب

يقول أبو عفش في كل نزهة داخل كتاباته، يوهمك «عادل محمود» بأنه لا يقول شيئاً، بل لا يسعى إلى التبشير بشيء أو إيصال شيء؛ لتكتشف في نهاية الرحلة أنك قد بلغت العتبة الأخيرة للجمال، وبأنه يكتب ليجعل الموت أرحم، وأبهج، وربما.. أطيب مذاقاً. ويكتب لأن تحت الألسنة (ألسنة المحتضرين) كلاماً يريد أن «يَنكتب».

ومن الكتّاب عادل محمود كتب حول تنفيذ حكم الإعدام وانتظار الموت: «الرجل الذاهب إلى الموت شنقاً كان يتحدث عن السعادة. واختلطت في حديثه الفلسفة، بالخبرة، بالمعلومات، بآراء قديمة، وحديثة... كانت ثرثرة ممتعة عن السعادة من رجل لا تزيد رحلته إلى منصة الإعدام عن الوقت المخصص لصلاة أمام كاهن اللحظات الأخيرة. عندما قيل له: (أنت ذاهب إلى الموت، فما السعادة التي تتحدث عنها؟ قال: السعادة ألا يؤلمك الحبل كثيراً».

وفي مكان آخر تحدث أبو عفش عن الأسئلة «الحاسمة» التي يطرحها عادل محمود قائلاً إنها أسئلة الحياة والموت. أسئلة الجمال والقبح (جمال القلب وقبحه). أسئلة الخوف، والحيرة، والجسارة، والضعف، والحنان، ولطافة ما يهجس به قلب الإنسان: أسئلة القلب. وبأن أسئلته هي أسئلة الامتحانات الكبرى، الأكثر إغواء وأشد عسراً: امتحانات الرحابة والعافية، رحابة العقل وعافية الضمير. حيث يقول عادل محمود في كتابه «في إحدى روايات الكاتب التشيكي «ميلان كونديرا» يتذكر أن الرئيس الذي أتى به السوفييت إلى السلطة بعد ما سمي «ربيع براغ»- قام بتسريح ١٥٠٠ أستاذ تاريخ من الجامعات. قيل، يومها لتفسير الحدث، إنه أراد محو الهوية الوطنية من رؤوس الأجيال ليقبلوا هوية أخرى. فأطلق عليه كونديرا لقب (رئيس النسيان). ولكن نحن، كما قال محمود درويش... (ذاكرة للنسيان)».

أما بالنسبة لكتابات محمود فتحدث أبو عفش عن أنه يطلق أسئلته، وشكوكه، وأحاجيه، ومحيرات قلبه وعقله.. وحتى «مسلماته» الدامغة أو المشكوك في صوابيتها؛ ويترك للآخرين (هواة اللّعب الصغار) مسرّة التسلّي بمغازلتها، والعثور على نوافل وهينات إجاباتها، لكأنه في كلّ ما كتبه وفكّره، يستعين على العقل بالحيرة ليجعل من السؤال مقصداً، ومن التوهان في الميدان غاية للسباق (سباقه مع نفسه) الذي لا ينتهي، ولا يراد له أن ينتهي. وفي جَانب من الكتاب يقول عادل محمود: «إن الكاتب الجائع قد لا يفرض عليه سوء التغذية، سوء الإنتاج، ولكن في الوقت نفسه (المال للكاتب هو وقت الكتابة). وربما لهذا السبب لا يدفع الاستبداد مكافآت مجزية للكاتب إلا إذا علّمهم سرقة النص ومهنة المدائح».

وأيضاً في مكان آخر قال «الكاتب الألماني (هرمان هيسه)، في كتابه عن الحرب، هذا النص الذي مضى على كتابته ثلاثة أرباع القرن:

«أصدقائي الشبان هناك تعبير يفزعني عندما أسمعكم تتلفظون به... ذاك التعبير هو تحسين العالم».

يجب أن نتعلم كيف نكفّ عن الحكم حول إذا ما كان العالم طيباً أم شريراً؟ ونتعلم كيف نكف عن الادعاء الغريب بأن أمر تحسينه في أيدينا.

لطالما شُجب العالم بوصفه شريراً لأن (الشاجب) كان نومه مضطرباً، أو أسرف في الأكل.

ولطالما مُدحَ العالم بأنه جنة، وذلك لأن (المادح) كان قد أسعده تقبيل فتاة لتوه.

إن العالم لم يخلق ليحسن، ولا أنتم خلقتم ليطرأ عليكم تحسّن. أنتم خلقتم لتكونوا أنفسكم، خلقتم لتغنوا للعالم، بصوت، بنغم، بظلّ».

الإبداع السوري

| د. اسكندر لوقا

تستوقفني هذه العبارة في سياق تصفحي الكتاب المميز الذي أصدره المفكر العربي المعروف الأستاذ ميخائيل عوض الموسوم بعنوان «سورية صناعة النصر».

تستوقفني هذه العبارة وأنا أعود بالذاكرة إلى عام ٢٠١١، أيام كانت تقديرات الذين شنوا حربهم على سورية بأنها لن تحتمل تبعات الحرب أكثر من بضعة أشهر، وغاب عن أذهانهم أن الإبداع السوري قادر على إحباط مخططات المشروع الأميركي وأذياله في تركيا والخليج، على حد تعبير مؤلف الكتاب المشار إليه.

ومتتبع فصول كتاب «سورية صناعة النصر» يستخلص، من طرف آخر أن سورية هي، بدورها، «صانعة» النصر فضلا عن كونها «صناعة» النصر. ومؤشر هذه الصناعة قدرة الإنسان العربي السوري على صد موجات أحفاد غزاة سورية منذ أيام تيموجين والعثمانيين ومن جاء بعدهم من أحفاد أحفادهم إلى أرض سورية الصامدة على مدى سنوات سبع.

إن النصر الذي حققته سورية وتحققه على مدار الساعة، ليس وليد تداعيات الحرب الراهنة فقط. إن مسنده تاريخ مجيد يشهد به العالم لجهة صمود سورية، ومن الطبيعي أن يتلازم هذا الصمود مع إيمان المدافعين عن سورية الغد بأن الأمس صار من الماضي وأن المستقبل، مستقبل النصر، بات على الأبواب. وسورية العربية لم تخدع نفسها يوماً كما لم تخدع غيرها، وبين هؤلاء الغير دول تحتاج إلى قليل من الوعي لا إلى قليل من الإبداع كي تنهض من الحضيض.

في زمن تيموجين، تعرضت بلادنا للخراب، كذلك في زمن العثمانيين الذين شوهوا صورتها، كذلك تعرضت للخراب في زمن الفرنسيين، ومع كل هذا بقيت صامدة مبدعة في كتابة فصول التاريخ الحديث لوطن حاضن لحضارة الإنسان الذي أبدع أبجدية أوغاريت، الأبجدية التي أضاءت عقل الإنسان ونقلته من الظلمة إلى أنوار المعرفة.

الإنسان العربي السوري الذي يفخر بماضيه، لا يضيره أن يتكالب الآخرون عليه، لأنه صاحب تجارب مريرة في مواجهة المتآمرين عليه، الذين حاولوا أن يطفئوا الضوء الذي حمله وغمر العالم وسيبقى يغمره ونحن على أبواب نصر سورية على أعداء حاضرها ومستقبلها الذين جاؤوها من كل حدب وصوب، لأنها، على حد وصف الأستاذ عوض تبقى «صناعة النصر».

برجك اليوم ٦/٦

نجلاء قباني

قد تكتشف أنك نزق وأن غضبك يستثار بسرعة وهذا بسبب الإحباط الذي تشعر به، قد تغذي شعوراً بالعدائية تجاه أحد الأصدقاء أو الزملاء في العمل فلا تكن عنيداً.

تتعلم من تجاربك وتصلح أخطاءك وخاصة أن عقلك خلق ليتعلم وأنت تفتح عقلك وتدعم ذكاءك فأنت تدرك هذا اليوم أنك جزء من كُلْ وأنك محتاج لكل الآخرين من حولك.

أدعوك لمراجعة حساباتك وعدم التورط في تهور مالي ووضع قرشك في مكانه المناسب، قد تحصل على ديون سابقة كنت قد فقدت الأمل من استردادها.

أنت متفائل اليوم وتسعى للتجمعات والأضواء وللفت الأنظار والحظوظ مساعدة فالفرح يحل ضيفاً على حياتك والتسهيلات حولك تستهدف أمورك عاطفياً وعملياً.

امش مع التيار ولا تتفوه بكلام صريح أو جارح حتى لو كَنت على حق تحكم بغضبك ولا تفتح دفاتر الماضي وتتذكر المآسي الماضية فتشعر بالمرارة.

فرص ذهبية لإعادة الهيكلة وإعادة التخطيط والتعديل، يوم للقاءات العابرة والسريعة وهذا يوم مناسب لتمتن علاقاتك بمن حولك وخاصة في العمل وقد تشمل الأمور الشخصية.

أنت واضح ومتحمس للقيام بأفضل ما تستطيع فعله وتضحي بوقتك وطاقتك للمصلحة العامة فاليوم سيمنحك حدة الذهن والخيال اللازم للإبداع والخلق والأفكار الجيدة.

اسأل قلبك؟ ألست أنت الذي تبعد حين تتضايق وتحرص على ألا نرى الجانب الضعيف فيك إذاً لماذا تلومنا إذا إذا لم نفهم رغبتك في تلقي الحنان فهذا يوم أنت فيه كئيب.

من الجميل أن يساندنا الآخرون في تقديرنا للأشياء وتعبنا وإحباطاتنا وجهدنا الشاق فالحياة تمنحك توازناً واستقراراً لأن العائلة تسعدك بقربها وتعاطفها ودعمها.

قد تدخل في نزاعات على مستوى الزواج فكن أهدأ واقبل ببعض التنازلات التي تفرض نفسها، قد تواجه صعوبات في عملك أو تشعر أن الأبواب تغلق في وجهك.

تجنب الكسل والانشغال بأمور غير ضرورية على حساب عمل مطلوب منك إنجازه انتبه من سوء تفاهم مع زملاء العمل واحذر المزاج الرديء والإهمال والخمول.

أنت تتميز هذا اليوم بالمحبة والألفة والرغبة في التواصل والاتزان النشيط وتقنع المحيط العائلي بوجهة نظرك وتؤثر في محيطك بحججك المنطقية وشرحك لمشاعرك.

كلمات متقاطعة

أفقي:

١ – مخرج سينمائي مصري.
٢ – تعب – قهوة (م) – ضوء.
٣ – أساس (م) – نعلو – متشابهان.
٤ – مساحة من الأرض – ساحة.
٥ – صعب – حرف جر (م).
٦ – هواء عليل – من البقول.
٧ – سلام – استنشقه – والدتي.
٨ – مخرج سوري.
٩ – أبنيه (م) – من الأسنان.
١٠ – نافية – حروف متشابهة – والد.
١١ – أعترف – نواد ليلية.
١٢ – دولة عربية – أريد.

عمودي:

١ – ممثل فلسطيني سوري راحل – من أطوار القمر.
٢ – نعاس – مادة قاتلة – تابع.
٣ – طن – أساعدهم – نصف رنيم.
٤ – هرم (م) – يشمل.
٥ – حروف متشابهة – أوساخ.
٦ – تحمل – رتبة عسكرية (م) – جنون.
٧ – اكتمل – مصاعب وأحزان.
٨ – في وجهي – أغلب وأتفوق (م) – عبر.
٩ – مدينة يمنية – يتمادى.
١٠ – حرف ناصب – ثعبان (م) – مدخل.
١١ – ذل – برق وأشع.
١٢ – للمساحة (م) – واضح – مادة مذيبة.

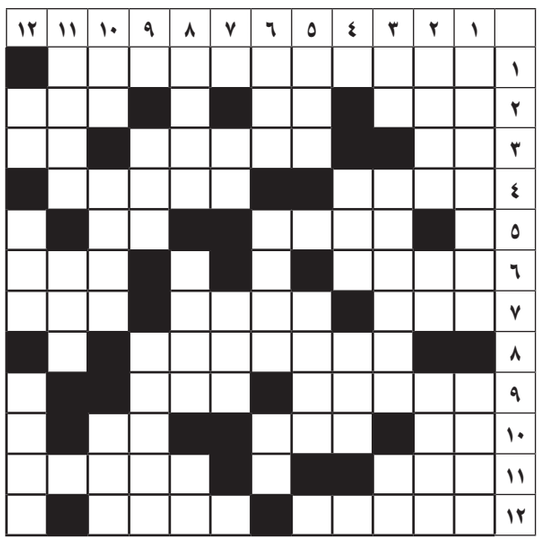

الحل السابق:

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢
١	ع	ص	ا	م	ع	ب	هـ	ج	ي	■	ا	ن
٢	ل	و	ب	ي	ا	ا	■	ب	ب	ب	ب	ب
٣	ي	ف	ر	■	م	ر	ج	ا	ن	■	ت	ا
٤	ا	■	ي	م	■	ي	■	ل	■	■	ر	ل
٥	ل	ا	ق	■	ح	س	م	■	ض	د	■	ا
٦	د	ا	■	ج	ج	■	ن	ا	ب	■	هـ	ل
٧	ي	ا	س	ر	■	هـ	ت	■	■	ل	ب	ج
٨	ك	ا	م	ب	ر	د	ج	■	■	ا	ر	ز
٩	■	■	ا	■	■	ي	ع	ا	ر	م	■	ا
١٠	ج	ب	ن	■	ل	ا	■	■	م	هـ	م	ا
١١	ر	■	■	د	ح	■	ل	ا	ح	■	هـ	ر
١٢	م	م	م	م	م	■	م	س	■	ج	ر	ي

كلمة السر

ب	م	ت	ل	ص	و	و	ة	ج	ي	ت	ن
ا	ف	ف	ت	ج	ح	ة	و	هـ	ق	ل	ا
ل	ا	ن	ر	و	ب	ي	ع	م	س	ت	ف
ا	د	ج	ش	ي	ك	ل	ي	ت	و	ص	ي
م	هـ	ا	ف	ي	ك	ع	ض	ر	م	ل	ا
س	ا	ن	ي	ا	ل	ن	ا	ك	ر	ي	غ
ك	ن	ا	ن	و	ر	د	ف	ا	ى	ل	ا
ن	ي	ر	ك	ف	ت	ي	ك	ا	ت	ن	ك
ر	ا	م	د	ن	ع	ب	ر	د	ط	ق	ف
ا	ل	ك	ء	ا	ق	ل	ع	ع	ت	ن	ك
ا	م	ب	د	ع	و	م	ن	ي	م	ل	و
س	ت	ع	م	ن	ك	ي	ت	ب	ي	غ	ت

كلمة السر مؤلفة من ١١ حرفاً: ممثلة عالمية.

(كنت أدعي المرض عندما تغيبت عن لقائك بالأمس... ولم يكن عندي موعد مع غيرك... فقط كنت أفكر بما لا تفكرين... ووصلت إلى نتيجة مفادها أنك ترشفين فنجان القهوة كي لا تسمعي صوتي في حبك...)

SUDOKU

8			1				5	
	1			8			2	4
		4	6			9		
1			9	7				5
		9			3	6		
5				1				8
		1			9	5		
2	4			6			7	
	9				8			2

تتألف اللعبة من تسعة مربعات كبيرة داخل كل منها تسعة مربعات صغيرة، يجب ملء المربعات الصغيرة بالأرقام على ألا يتكرر الرقم أكثر من مرة في كل مربع كبير وفي كل خط عمودي وأفقي.

الحل السابق:

4	8	7	1	9	6	3	5	2
1	3	9	4	5	2	8	7	6
5	6	2	3	8	7	9	1	4
8	2	6	7	3	1	4	9	5
3	4	1	9	6	5	7	2	8
7	9	5	8	2	4	1	6	3
6	7	4	5	1	8	2	3	9
2	1	3	6	4	9	5	8	7
9	5	8	2	7	3	6	4	1

الطقس

	اليوم	غداً
دمشق	١٧°/٣٦°	١٨°/٣٦°
حمص	١٧°/٣١°	١٩°/٣٤°
حلب	٢٢°/٣٣°	٢٤°/٣٦°
اللاذقية	٢٠°/٢٨°	٢١°/٢٧°
السويداء	١٦°/٣٠°	١٨°/٣١°
الحسكة	٢٥°/٤٠°	٢٨°/٣٨°

من هو؟

فنانة سورية: إذا جمعت الأحرف:

٥ + ٤: حرف ناصب
٣ + ٦ + ٧: أُدرك
١ + ٢ + ٨: عنق

١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨

الحل السابق: خالد تاجا